البوسنويون وتحديات الحداثة

في المرحلة الأخيرة للحكم العثماني والنمسوي/المجري للبوسنة *

خير الدين خوجا **

ملخص محتويات الكتاب

حاول المؤلف قصارى جهده تحليل تأثير موجة الحداثة وإدخال فكرة الإصلاحات

---

* فكرت، كارتشش، **البوسنويون وتحديات الحداثة في المرحلة الأخيرة للحكم العثماني والنمسوي/المجري للبوسنة** (سراييفو: دار القلم، ١٩٩٩م). الأستاذ الدكتور فكرت كارتشش من مواليد البوسنة الشرقية من بلدة ويشغراد Vishegrad. ولد سنة ١٩٥٥م. أنهى دراسته الثانوية الشرعية في مدرسة غازي خسروبك العريقة في سراييفو. ثم التحق بالجامعة الحكومية في سراييفو وتخرج من كلية القانون. حصل على الماجستير سنة ١٩٨٥ من جامعة بلغراد عاصمة يوغوسلافيا السابقة. ثم حصل على الدكتوراه في الجامعة نفسها سنة ١٩٨٩م، متخصصاً في القانون. مارس مهنة التدريس في الكلية الإسلامية في سراييفو. ثم انتدب مدرساً إلى جامعة مرمرا التركية، حيث درس في كلية الإلهيات. ثم انتدبته مدرساً الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. له عديد من المؤلفات والكتب، نذكر منها ما يأتي: **المحاكم الشرعية في يوغوسلافيا ١٩١٨ — ١٩٤١. المظاهر الاجتماعية والقانونية للتجديد الإسلامي. دراسات في القانون الإسلامي. تاريخ القانون الإسلامي في البوسنة والهرسك.**

** دكتوراه في الدراسات القرآنية والحديثية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

الإدارية المسمى بـ: التنظيمات الإدارية، على الشعب البوسني خلال فترة الحكم العثماني والنمسوي/المجري لتلك البلاد. كما أنه حاول أن يدرس موقف العلماء والمفكرين البوسنيين تجاه هذه القضية الدينية والاجتماعية. فكما هو معلوم تاريخياً أن الإمبراطورية العثمانية حكمت الأراضي البوسنية من سنة ١٤٦٣م – ١٨٧٨م. وقبل انهيار الدولة العثمانية قرابة نصف قرن، قبلت السلطات العثمانية فكرة إدخال الإصلاحات الإدارية والعسكرية في القانون العثماني والتنازل عن بعض البلاد أو الولايات التي كانت تحكمها، بسبب الضغوط السياسية الأوروبية عليها. فقبلت أن تحكم الأراضي البوسنية المملكة النمساوية/المجرية. هذه الإصلاحات فرضت على مسلمي البوسنة تارة بالاحتلال العسكري المباشر وتارة سلكت مسلك التدرج في حياتهم الاجتماعية. ومرَّ التاريخ البوسني بأربعة مراحل أو أنظمة تاريخية مختلفة جاءت كالآتي:

١– من سنة ١٤٦٣م – ١٨٧٨م كانت تحت الحكم العثماني.

٢– من عام ١٨٧٨م – ١٩١٨م كانت تحت حكم المملكة النمساوية الهنغارية.

٣– ومن ١٩١٨م – ١٩٤١م كانت تحت المملكة اليوغسلافية الصربية.

٤–وخلال الأعوام الأربعة للحرب العالمية الثانية انضمت البوسنة إلى حكومة الكرواتية المستقلة، ومنذ سنة ١٩٤٥م – ١٩٩١م كانت البوسنة تحت حكم الدولة الفيدرالية الاشتراكية اليوغسلافية.

٥– وفي سنة ١٩٩٤م – ١٩٩٥ م وبعد الحرب الدامية مع النظام الصربي الفاشي، والمجازر الوحشية التي حدثت من قبل الصرب في حق المسلمين البوسنيين، حصلت البوسنة على استقلالها.

ركزت الإصلاحات العثمانية بالدرجة الأولى على تغيير نوعية وطريقة اللباس العسكري العثماني، ولأن السلطات النمساوية/المجرية لم تكن تريد أن تصطدم مع مشاعر المسلمين في البوسنة. ثم بدأوا بالتغيير التدريجي في قانون الأحوال الشخصية والطرق القضائية والوسائل التربوية. كل هذه التغييرات تمت خلال عام ١٨٦٠م. في هذه المرحلة عرف المستوى الثقافي البوسني العام تحسناً كبيراً.

ولكن مع ذلك فقد وقعت صدامات واشتباكات بينهم، ولقيت القوات العثمانية الخاصة تحت الحكم النمسوي/المجري مقاومة شرسة من المسلمين البوسنيين خلال سنة ١٨٥١م، حيث راح ضحيتها آلاف الأشخاص.

استطاع أحمد جودت باشا، العالم والمفكر العثماني الوصول بالتدرج إلى عقول العلماء البوسنيين، من خلال تأكيده ضرورة قبول فكرة الحداثة أوالحياة الحديثة الغربية ضمن الإطار الإسلامي. وبعد اقتناع البوسنيين بهذه الفكرة، اختار النظام الجديد تقسيم الأراضي البوسنية على شكل ولايات، ثم تبع ذلك تأسيس المحاكم القضائية الإسلامية، وتمَّ فتح مدارس ابتدائية جديدة، وانتشرت دور الطباعة والنشر..الخ.

مع هذا الازدهار الكبير للبوسنة في الجانب الأدبي والثقافي، أظهر بعض العلماء والمفكرين البوسنيين المتحفظين، والمعارضين لفكرة الإصلاحات الحديثة، والرافضين لتغيير نمط وطريقة الحياة البوسنية العثمانية، استياءهم ورفضهم، وصدرت عنهم ردود فعل، مما دفعهم إلى الوقوف أمام عدة تحديات كبيرة. ويمكننا من خلال تناولنا لبعض القضايا المهمة، والتي شكلت تحدياً كبيراً أمام العلماء والمفكرين البوسنيين أن ندرك مدى خطورة وحجم تلك التحديات:

الأولى: اختلفوا حول جواز الهجرة أوالبقاء تحت حكم الحاكم الكافر، (مملكة النمسوية/المجرية). الثانية: اختلفوا أيضاً حول جواز الخدمة الاجتماعية والعسكرية في ظل الدولة الكافرة. الثالثة: اختلفوا حول تأسيس منظمة إسلامية تهتم بالعلاقات الإسلامية والأوروبية، ذات اتصال وثيق بمؤسسات الدولة العثمانية.

فيما يخص قضية الهجرة والخدمة العسكرية، فقد تباحث العلماء والمفكرون البوسنيون فيما بينهم لمناقشة هذه القضايا المهمة في المصادر الدينية والرسائل العلمية في ضوء فتاوى العلماء حول هذه القضايا، وقاسوا الحالات المتشابهة وقعت في الماضي بتلك التي استحدثت في زمانهم. وهكذا استطاعوا أن يجدوا حلولاً لمشكلاتهم الاجتماعية والدينية.

إن دور العلماء البوسنيين للحفاظ على الهوية القومية البوسنية والدينية كان عظيماً. فمثلاً في قضية الهجرة والتخلي عن أراضيهم بسبب الحكم النمسوية/المجرية ذهب هؤلاء العلماء إلى القول بعدم جواز الهجرة وحرمة ذلك،

ورأوا أن الخدمة العسكرية في ظل الحكومة الكافرة أفضل من هجرة أبناء البوسنة والتخلي عن أراضيهم والتفريط فيها لغيرهم. ولا شك أن هذا كان قاسياً على أبناء البوسنة، لأنهم كانوا بالأمس يحاربون جيوش النمسوية/المجرية عندما كانت تحكم هذه الأراضي الدولة العثمانية قبل أن يحتلها العدو، فكيف يمكن أن يكونوا اليوم في خدمة هؤلاء الأعداء !؟

وقضية أخرى هي في غاية الأهمية تخص المنظمات المؤسسية التعليمية، فقد سمح لهم بتشكيل المحاكم الشرعية، كما تم تعيين المفتي الجديد لمدينة سراييفو وما جاورها من القرى. وطبقاً لهذه الإصلاحات الإدارية الدينية، أصدر المفتي الجديد قراراً بتشكيل مراكز دينية في المحافظات الأخرى في البوسنة والهرسك، شريطة أن تكون هذه المراكز الدينية (المشيخات الإسلامية) منفصلة تمام الانفصال عن مكتب شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، والذي كان مقره استانبول.

فيما يخص حياتهم الاجتماعية فقدد حدثت تغييرات وإصلاحات أخرى في مجال المواصلات والصناعة أيضاً. كثير من المدن البوسنية تطورت وازدهرت. في مجال التربية فتحت مدارس من نمط جديد. تغيرت الأبجدية واللغة بسبب شدة اهتمام الشعب البوسني بالقراءة والكتابة. وفيما بعد برزت الأحزاب السياسية الأولى في بدايات ١٩٠٠م، في المجتمع البوسني متعددة الأديان والأعراق، (الصرب الأرثودكس، والكروات الكاثوليك، والبوسنيون المسلمون). في هذه الظروف الراهنة ظهرت هناك حركة دينية إسلامية قوية أيضاً، بدأت بترجمة الكتب والبحوث الإسلامية التي كتبها كبار العلماء المصلحين في البلاد العربية. وأخيراً فإن مؤلف هذا الكتاب أثبت أن المسلمين البوسنيين اختاروا المنهج الانتقائي من الثقافة والحداثة الأوروبية فيما يتفق مع تعاليم الدين الإسلامي، محافظين على دينهم وعقيدتهم دون أن يخسروا منها شيئاً.

الجوانب الإيجابية لهذا الكتاب

إن كتاب: **البوسنيون وتحديات الحداثة** غير كثيراً من أفكاري وآرائي الشخصية فيما يخص المجتمع البوسني والخلافة العثمانية. وسأحاول بإذن الله تعالى

أن أسجل بعض الإنطباعات والملاحظات التي خرجت بها من خلال قراءتي لهذا الكتاب القيم بكل موضوعية.

على رأس تلك الانطباعات ما يخص المجتمع البوسني عموماً وحياته الثقافية والتقليدية على وجه الخصوص، فمنذ أيام طفولتي ـ وفي ظلّ النظام الشيوعي اليوغسلافي ـ كثيراً ما سمعت الناس يقولون: إن البوسنيين حلفاء الصرب، لأنهم يشاركونهم في لغتهم، وهناك حالات تزاوج كثيرة بينهم، كما أنهم يتعاطون شرب الخمر والمخدرات. وأسوأ من ذلك فقد بلغني أن كثيراً من البوسنيين كانوا لا يبالون بأكل لحم الخنزير أثناء أداء الخدمة العسكرية أيام النظام الشيوعي اليوغسلافي، وأنه لم يكن ثمّة فرق بين بوسني وصربي..الخ.

شعرت فيما بعد أنه كان هناك سوء فهم عندي حول المجتمع البوسني بسبب بعض الأساتذة الشيوعيين والمتعصبين الجهلة من الألبان، الذين كانوا يعلموننا في المدارس الابتدائية. أقول إنه من الطبيعي أن يوجد أشخاص في كل المجتمعات يقترفون الآثام أو يتلبسون بها، ولكن هذا لا يدل على أن المجتمع بكامله متلبس بها. فهذا المعيار لتقويم الناس والمجتمعات يجب أن يكون واضحاً عندنا، نحن المسلمين.

هذا الكتاب الذي قضيت في قراءته وفهمه أياماً عديدة، قدم لي فهماً جديداً عن المجتمع البوسني المسلم، وهو أول كتاب قرأته عن الدولة العثمانية وتاريخ البوسنيين.

أما فيما يخص منهجية الكتاب وموضوعيته فيبدو لي أن الكاتب قد أجاب عن الأسئلة المثارة في بداية كتابه، مثل: ما صورة وخطة الحداثة التي كانت تنادي بها المملكة النمسوية/المجرية؟ وما المحتوى السياسي لفكرة الحداثة؟ من كان يشجع فكرة وقبول الحداثة؟ أثر هذه الفكرة في الجانب الاقتصادي والاجتماعي في الشعب البوسني، وأخيراً استجابات وردود علماء البوسنة وموقفهم من ظاهرة الهجرة والخدمة العسكرية في ظل الحكومة الكافرة.

أثبت المؤلف في كتابه قوة إيمان المجتمع البوسني المسلم وثباته على المبادئ الدينية، وصلابته في مواجهة تحديات من خلال مروره بمراحل تاريخية عديدة. هذا الثبات

مكنهم من تحديد مستقبلهم المنشود واختياره، بالانخراط والانضمام إلى قائمة الدول الأوروبية، وقبول ثقافتها مع الحفاظ على دينه وعقيدته الإسلامية. هذه الدراسة النقدية التاريخية أكدت لنا المستوى العالي في الجانب التربوي الديني الذي كان يتمتع به مفكرو البوسنة وعلماؤها، وسعة أفقهم الثقافي في التعامل مع القضايا الراهنة التي كانوا يواجهونها من خلال تطبيقهم للقواعد الشرعية والأصولية. كل هذه المعالم يمكن ملاحظتها إذا ما حللنا موقفهم من تلك التحديات الكبرى التي واجهوها أيام الحكم النمسوي/المجري لهم.

كان المجتمع البوسني مثالا يقتدى به في مثل هذه الظروف، وكان فعلاً قدوة حسنة للمجتمعات الأخرى المسلمة في كيفية الحفاظ على الهوية الدينية الإسلامية حين يصطدم مع الحضارات والثقافات الأخرى الواردة أوالمفروضة عليهم.

تظهر رجاحة عقل المجتمع البوسني المسلم في تبنيهم للمنهج الإنتقائي من الثقافة والحضارة الغربية، وما هوالأصلح والأنسب لدنياهم من الناحية الصناعية والتكنوليوجية والزراعية والتربوية. ولا شك أن هذا المنهج وهذا الموقف، موقف سليم ووجيه، كما أشار إلى ذلك أيضاً العلامة أبوالحسن الندوي في كتابه: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية.[1]

فضلاً عمَّا ذكر فإن مؤلِّلإ هذا الكتاب عالم راسخ في تاريخ البوسنة والهرسك وجزيرة البلقان، يملك ناصية لغات عديدة، متمكناً من موضوع بحثه، وهو فوق ذلك أدرى بشعبه من غيره. ولذلك أدعو المثقفين وطالبي العلم إلى الاطلاع على هذا الكتاب إذا كان غرضهم الفهم الصحيح لتاريخ الشعب البوسني المسلم. فقد اعتمد المؤلِّف على المصادر والوثائق التاريخية الأصلية للشعب البوسني، وأخضعها للنقد العلمي.

وثمة انسجام تام بين عنوان الكتاب وأفكار الكتاب ومحتوياته ومباحثه التي عالجها ودرسها. كما أن فصول الكتاب ومباحثه كانت متوازنة من حيث الحجم. وكان

---

[1] انظر : الندوي، أبوالحسن: **الصراع بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية**، ص ١٥.

المؤلِّف دقيقاً وأميناً في نقله من المصادر، وتوثيق ذلك في الحاشية مما دل على أمانته العلمية والدينية، وربما فاته شيء من ذلك[٢]، والكمال لله وحده.

أما نتائج هذه الدراسة فقد جاءت مبنية على تلك الأسئلة التي وجهها الكاتب في بداية كتابه. إن اختيار الكاتب في دراسته وتحليله لهذه القضايا الدينية والاجتماعية الحساسة كان واضحاً، حيث قبل فكرة الحداثة، أوفكرة التنظيمات الحديثة، والأخذ من الحضارة والثقافة الغربية، ولكن ضمن الشروط والضوابط التي حدَّدها.

ملاحظات عامة حول للكتاب

أولاً: لم تكن هناك ترجمة لبعض الأعلام، مثل المفكر الإسلامي شكيب أرسلان، والشيخ رشيد رضا، والعلامة الإمام السرخسي وغير هؤلاء. وقد كتب ترجمة لمفتي سراييفو Mehmet Teufik Azapagic في ذلك الوقت، دون أن يتعرض لترجمة مفتي مدينة موستار البوسنية Mustafa Sidki Karabek.

ثانياً: لم يترجم المؤلِّف لبعض الفرق الإسلامية الضالة والمضلة مثل: الدروز، وهذا الأمر من شأنه أن يُحدث عند القارئ الأوروبي شيئاً من الغموض حول معتقدات هذه الفرق، فكان من المستحسن تزويد القارئ ببعض المعلومات عنهم حتى يكون على بينة من الأمر. كما أنه كان من المستحسن أن يبين الكاتب مراده وهدفه من وراء استعماله بعض المصطلحات الفلسفية، وما المقصود منها في كتابه، مثل كلمة: Rationalism - العقلانية، وNaturalism ـ الطبيعية، وScientific Positivism – الوضعية العلمية..الخ ، لأن لكل هذه المصطلحات لها معان خاصة في الفلسفة، والتاريخ والعلوم الأخرى.[٣]

ثالثاً : في حالات كثيرة غاب تحليل المؤلف لبعض الظروف التاريخية المهمة. فقد اكتفى بنقل الحدث التاريخي دون أي تعقيب عليه، سلباً أوإيجاباً. وهذا لا يستقيم من

---

٢ انظر ذلك في ص ٥٢ من كتاب المؤلف.

٣ راجع كتابه، ص ١٣ -٢٧.

الناحية المنهجية. وإنما ينبغي أن يكون هناك تعليق في نقل الأحداث التاريخية حتى يستفيد القارئ من ذكر هذه الأحداث، وما مقصوده من هذا الاستدلال التاريخي.

ونذكر مثالاً واحداً على إهمال المؤلف التعليق والرد على أكاذيب غير المسلمين. فقد نقل المؤلف كلام العقيد General Josip Filipovic، الصربي الأصل حينما قال ".. إن الشعب المسلم شعب بهيمي قذر بغيض ووحش، لا يمكن أن يصل إلى الوعي الإنساني أبداً إلا بتجريده كلياً من السلاح، والتدرج في تغيير فكره تحت نظام وقانون شديدين..".[٤]

إن الكلام السابق الذي أدلى به ذلك المجرم الصربي، كلام خطير، يحمل في طياته معاني خبيثة وتهماً شديدة للإسلام والمسلمين، ليس فقط للشعب البوسني وإنما للمسلمين عامة. فكان لزاماً الرد على تلك الاتهامات، وبيان الصواب في المسألة.

وهناك قضية أخرى أكثر أهمية لم يعلق عليها الأستاذ حينما ذكر حالة حاكم البوسنة والهرسك : Hugo Kutscher المعين من قبل المملكة النمسوية/المجرية، والذي حكم البوسنة لمدة اثنين وعشرين عاماً، والذي كان يحتفظ في مكتبه بنسخة من المصحف الشريف، وكان يقرأ فيه، كما أنه اعتاد أن يعقد في مقر إقامته المجالس الدينية مثل الاحتفال بالمولد النبوي وغيرها [٥]. فكان ينبغي التنبيه على أن هذا التصرف تصرف سياسي بحت، لكسب قلوب العوام والجهلة من المسلمين، وأن هذا التصرف كان مكراً وخداعاً منه و لم يكن لصالح الإسلام والمسلمين. وإلا كيف يتصور أن يعقد الكافر مجلس احتفال بالمولد النبوي الشريف !!

هذه هي خطة غير المسلمين عندما يحتلون بلاد المسلمين، يتظاهرون بشيء من الاحترام للإسلام نفاقاً ودعايةً، كأنهم جاؤوا لصالح المسلمين!! فهذه الحالة مثل حالة المحتل نابليون بونوبارت عندما احتل مصر. إذ قال للشعب المصري أن مجيئه إليهم

---

[٤] أنظر كتاب المؤلف، ص: ٨٣.

[٥] المرجع السابق، ص : ٨٥.

كان بقضاء وقدر من الله عز وجل !! فالبسطاء والعوام من المسلمين آمنوا بكلامه وظنوا أنه مرسل إليهم بتقدير من الله عز وجل، فاستسلموا له وأيدوه !!

بعض القضايا الدينية الكبرى مثل قضية الهجرة إلى الدول الكافرة، والخدمة الاجتماعية والعسكرية في ظل الحكومة الكافرة، وقضية الخلافة العثمانية وسبب سقوطها، وآمال المسلمين لاستعادتها مرة أخرى، والحركة الإسلامية العامة والشاملة Pan Islamism وغيرها من القضايا الواردة في الكتاب، قد نوقشت باختصار شديد، وكان ينبغي تفصيل القول فيها، فتلك الظروف التي واجهها مسلموالبوسنة، والفتاوى التي صدرت من بعض العلماء الكبار المهتمين بقضايا المسلمين في البوسنة مثل الشيخ رشيد رضا وغيره، في حق هؤلاء المسلمين في جزيرة البلقان، قد لا تعمم لبقية المسلمين في العالم، إلا إذا واجهوا الظروف والتحديات نفسها، فحينئذ يمكن التعويل عليها. فهذه القضايا لم يشر المؤلف الفاضل إليها في دراسته. واختلاف مواقف علماء البوسنة فيما بينهم تجاه هذه القضايا التي عرضها في عصرهم دليل على اختلاف اجتهاداتهم وثقافتهم، واهتمامهم بالقضايا السياسية والاقتصادية.

فالوقوف على منصب الإفتاء ليس بالأمر الهين، ولا يتصدر له جميع الناس. وثمة فروق بين وظائف المفتي، والقاضي، والمفكر، والقائد. فالمسائل والقضايا الدينية على الرغم من مناقشة المؤلف لها، إلا أنه لم يعمِّق النظر فيها من زاوية شرعية. فمثلاً استدلال أحد علماء البوسنة المعاصرين وهوالأستاذ الدكتور سليمان توبولياك، بقوله تعالى في سورة الأنفال : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ {الأنفال: ٦٠}، ذكر المؤلف أن الكاتب المذكور استدل بتلك الآية على جواز الخدمة العسكرية في ظل الحكومة الكافرة. والذي يبدولي انه ليس فيها إشارة إلى جواز الخدمة العسكرية في ظل الحكومة الكافرة. بل العكس هوالصحيح، في هذه الآية أمر إلهي لإعداد القوة لمحاربة أعدائه في كل زمان ومكان. ولا أدري كيف استدل ذلك العالم الفاضل بهذه الآية.

وقد يكون هناك خطأ في الاستدلال بالآية. فالآية التي تلي الآية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿وإنْ جَنَحُوا للسِّلْم فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ على الله إنَّهُ هُوَ السَّميعُ العَليْمُ﴾ {الأنفال: ٦١}. لأن الآية في معرض الحديث عن السلام أوالسلم بين الأعداء والمسلمين.

وما ذهب إليه المؤلف الفاضل الدكتور سليمان توبولياك من أن : ".. الخدمة العسكرية أو الاجتماعية في ظل الحكومة الكافرة في مثل هذه الظروف بنية طيبة ومخلصة أمرٌ مسموح به وجائز، بل هوواجب شرعي أيضاً .." [٦] مذهبٌ باطل، إذ هو إطلاق الفتوى دون بيان أضرارها على المسلمين.

وقد ذكر الاستاذ فكرت كارتشش كلام المفكر الهندي عبد الرحمن دُوي، الذي قال: ".. إن الأقليات المسلمة التي تعيش في الدول الكافرة عليها أن تتعامل بأمانة مع الحكومة التي تعيش في ظلها، وأن تؤيدها كل التأييد وإن قاتلت هذه الحكومة الكافرة المسلمين وحاربتهم.."!! [٧]

فلا شك أن مثل هذه الآراء والفتاوى شديدة الجرأة وقد تكون بعيدة عن التصور الإسلامي، وتخدم مصالح الاستعمار، بل هي قرة عين هؤلاء المحتلين في كل زمان ومكان. ومثل هذه الآراء بعيدة فيما يبدو عن هدي القرآن الكريم والسنة النبوية، بل يجب على المسلمين أن يهاجروا إذا ضاقت بهم سبل العيش، أوالتعايش مع الكافرين في ظل الحكومة الكافرة، ولا يجوز لهم في حال من الأحوال أن يوالوا الكافرين، فضلاً عن أن يخدموهم. وإلا فلماذا هاجر النبي ﷺ وأصحابه من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وإلى الحبشة ؟ هل قال لهم الرسول ﷺ: عليكم السمع والطاعة لصناديد الكفر في مكة !؟ وأنه لا يجوز لكم التخلي عن الوطن !! وعليكم أن تناصروا قريشاً وأن تؤازروهم ضد المسلمين، ويقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿إنَّ الَّذينَ تَوَفَّاهُمُ الملائكَةُ ظَالمي أَنْفُسهمْ قَالُوا فيْمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفيْنَ في الأرْض قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله

---

٦ انظر : **البوسنيون وتحديات الحداثة..**، ص ١٢٣.

٧ المرجع السابق، والصفحة نفسها.

وَاسعَةً فَتُهَاجرُوا فيها فَأولئكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصيراً * إلاَّ الْمُسْتَضْعَفيْنَ منَ الرِّجال والنِّسَاء والولْدَان لا يَسْتَطيْعُونَ حيْلَةً ولا يَهْتَدُونَ سَبيْلاً * فَأُولَئكَ عَسَى اللهُ أنْ يَعْفُوَ عَنْهُم وكَانَ اللهُ عَفُوّاً غَفُوراً﴾ {النساء: ٩٧-٩٩}.

أما فتاوى وآراء علماء البوسنة السابقين مثل : Mustafa Hilmi Hadziomerovic, Mehmed Tewfik Azapagic التي تدور حول هذه القضية فإنها اتسمت بشيء من الموضوعية والجدية فهم لم يصرحوا بمثل ما صرح به هؤلاء المتاخرون من مفكري البوسنة والهند. فالقدامى من علمائهم كانوا أكثر حرصاً على دينهم ولم يتنازلوا عن حقوقهم مثلما فعل المتأخرون منهم إرضاءً للحكومات الكافرة على حساب الإسلام والمسلمين.

أما رأي المفتي الفاضل محمد توفيق آزاباغتش، الذي قال بأن الهجرة في هذه الأيام لا يمكن مقارنتها بهجرة الرسول ﷺ، لأنهم عرفوا أنهم سيعودون إلى مكة المكرمة فاتحين فيما بعد، وبناءً عليه لن يخسروا وطنهم. أما اليوم فإذا هاجر المسلمون من البوسنة فقد لا يعودون إلى وطنهم أبداً، وبالتالي سيخلو البلد للعدو.!؟

فالذي يبدولي في هذه المسألة هوخلاف ما ذهب إليه المفتي المحترم، لأن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً كما هومعلوم في علم أصول الفقه. فإذا وجدت تداعيات وأسباب الهجرة فتحنا باب الهجرة للمسلمين، فإذا انتفت أسبابها منعنا الهجرة وأغلقنا بابها، والله أعلم. وهذا المنهج في التعامل مع القضايا التاريخية يجب أن يتغير، وألاَّ ندرس التاريخ على أنه مجرد أحداث متراكمة. وإنما الذي نراه صواباً وندعوإليه هوما دعا إليه الشهيد سيد قطب رحمه الله في كتاباته وغيره أيضاً، بأن نسلك منهج التفسير الإسلامي للتاريخ، إذا ما أردنا فهم الأحداث فهماً يتوافق مع المنطق السليم.[٨]

---

٨ انظر: الجندي، أنور : **تصحيح أكبر خطأ في التاريخ الإسلامي – السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية** (القاهرة: دار الكتب السلفية، ط١، ١٤٠٧ هـ)، ص ٧.

النقد الخارجي للكتاب

إذا ما أردنا أن نجري مقارنة بين هذا الكتاب الذي نحن بصدده، وبكتاب آخر تناول فيه مؤلفه تقريباً الموضوعات ذاتها، فإننا سنلحظ فرقاً كبيراً بينهما. وعنوان هذا الكتاب الثاني هو: ISLAM AND THE MODERN MUSLIM WORLD، الإسلام والعالم الإسلامي الحديث، للمؤلف: غلام شوضوري Golam W. Choudhury، فالمؤلف الثاني كان أكثر توسعاً من الناحية الدينية في مناقشته لقضايا الحداثة على المستوى المحلي والعالمي. في حين اكتفى الأول بمناقشة قضايا الحداثة وموضوعاتها من الناحية المحلية فقط.

وقد ناقش المؤلف الثاني موضوع مبادئ الإسلام، ونظام السياسة في الإسلام، بداية النظام الإسلامي، الإسلام في المجتمعات الحديثة، الإسلام في المجتمعات غير العربية، نحو تحقيق دولة مثالية غير عربية – ماليزيا، النظرية الإسلامية للعلاقات الدولية – العالمية، صحوة الإسلام، الأصوليون الإسلاميون: هل الإسلام يشكل خطراً على السلام العالمي؟